جب يوسف الصديق وقبره الشريف

مخلص

CA
220.93: M95jA
خلص - عبد الله
حب يوسف الصديق وحبه الشريف.
FEB 19 1129:

CA 220.93
M95jA
MAR 17
[illegible] 57
[illegible] ADF 65

CA
220.93
M95jA
C.1

جب يوسف الصديق
وقبره الشريف

تحقيقات واستنتاجات

بقلم

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

38291

نشرت أولا فى مجلة الزهراء

القاهرة

١٣٤٦

المطبعة السلفية - بمصر

بشارع الاسكندرية تليفون ١٥ - ٧٣ بستان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله وسلم على سيدنا محمد أفضل الخلق أجمعين * وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

* * *

يعترضُ الباحثَ المدقق من الأمور مايختلط عليه حابلها بنابلها ، فتسترعي اهتمامه وتستدعي انتباهه الى استقصاء أخبارها ونبش مكنوناتها . ومبحثنا هذا وليد احدى هـذه العوارض التي طالما يتعرض لها من يُعنون بالبحث في الآثار والأخباروهو يتناول تعيين مواقع أثرية قديمة اختلفت الروايات فيها وتضاربت الاقوال عنها فأردنا أن نشرك القارىء معنا بهذه الاستنتاجات التي لاتكلفه الاعناء المطالعة في حـين انها كلفتنا ما كلفتنا من هصر دماغ واستنزاف فـكر وقضاء وقت في البحث والتنقيب . ومن الله التوفيق

جب يوسف الصديق

عليه السلام

جاء ذكر هذا الجبّ في الكتب المقدّسة ، وسنستشهد ببعض آياتها عند مسيس الحاجة ، وانما ننقل الآن ماذكره أهل العلم في هذا الشأن بحسب سني وفاتهم : قال قدامة بن جعفر الكاتب (المتوفّى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م) وهو أول من أتى على ذكر الجب - على مانعلم - عند وصفه طريق البريد من الشام الى مصر ، أو بالحري من بعلبكّ الى طبرية [١] : « ومن كفر ليلى الى طبرية خمسة عشر ميلاً ، وفي هذا الطريق جب يوسف عليه السلام »

وقال المقدسي (المتوفى بعد سنة ٣٧٥ هـ ٩٨٥ م) في مثل هذا الصدد [٢] « وتأخذ من بانياس الى قدس أو الى جب يوسف بريدَين بريدَين » . وقال أيضاً [٣] : « وتأخذ من طبرية الى اللجون أو الى جب يوسف أو الى بيسان أو الى عقبة أفيق أو الى الجش أو الى كفر ليلى مرحلة مرحلة » . وقال أيضا [٤] :

---

(١) كتاب الخراج وصنعة الكتابة المطبوع بذيل المسالك والممالك ص ٢١٩

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٠

(٣) و (٤) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩١

« وتأخذ من جب يوسف الى قرية العيون مرحلتين »

وقال الهروي (المتوفى سنة ٦١١ هـ ١٢١٤ م) عند ذكره زيارات طبرية وما اليها [١] « وفي الطريق الى بانياس قصر يعقوب وبيت الاحزان وجب يوسف ، والصحيح انه فى طريق القدس عند بلد يقال لها سنجيل وسيأتي ذكره » . وقال أيضاً عند ما أتى على وصف قرية سيلون في طريق نابلس الى القدس [٢] :

« وبلغني أن يعقوب عليه السلام كان ساكنا في سيلون وأن يوسف منها خرج مع اخوته والجب الذي رمي فيه بين سنجيل ونابلس ، والجب عن يمين الطريق . وهذا أصحّ ماروي . وسنجيل بلد عنده جبّ يوسف الصديق عليه السلام »

وقال ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م) [٣] : « وجبّ يوسف الصديق الذي ألقاه فيه اخوته بالاردن الأكبر بين بانياس وطبرية على اثني عشر ميلاً من طبرية مما يلي دمشق قاله الأصطخري. وقال غيره كان منزل يعقوب بنابلس من أرض فلسطين والجبّ الذي ألقي فيه يوسف بين قرية من قراها يقال لها سنجل وبين نابلس » . وقال أيضاً [٤] : « سنجل بليدة من نواحي

---

(١) و (٢) الاشارات الى أماكن الزيارات من مخطوطات الخزانة التيمورية

(٣) معجم البلدان طبع ليبسك جزء ٢ ص ١٨

(٤) « « « « « ٣ ص ١٦٢ و ٢٢٠

فلسطين وعندها جبّ يوسف الصديق » . وقال أيضاً عند ذكره سيلون [1] : ويقال ان سيلون منزل يعقوب النبي عليه السلام فانّ يوسف عليه السلام خرج منها مع اخوته فألقوه في الجبّ بين سنجيل ونابلس على يمين الطريق . وهذا أصحّ ماروي »

وكرّر صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨م) مختصِرُ معجم البلدان عبارة ياقوت في الجبّ [1] وقال ابن فضل الله العمري (المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م [2]) : قصر يعقوب وبيت الأحزان وجب يوسف في الطريق الى بانياس وهذا هو المشهور . قال شهاب الدين ابن الواسطي : والصحيح أنّ جبّ يوسف في طريق القدس عند بلد يقال له سنجيل . وقال في موضع آخر : سيلون قرية كان يعقوب ساكناً بها وان يوسف خرج منها مع اخوته والجبّ الذي رُمي فيه بين سنجيل ونابلس عن يمين الطريق . ثم عاد فقال عند ذكره الآثار المشهورة [3] « ومن ذلك جبّ يوسف وهو قرب قرية اسمها شورى ويدانيها جسر يعقوب وهو معروف مشهور كلّ ذلك ببلاد صفد »

---

(١) مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ج ١ ص ٢٣٧

(٢) مسالك الابصار في ممالك الامصار ج ١ ص ٢١٨

(٣) مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٣١

وقال ابن بطوطة (المتوفّى نحو سنة ٧٧٩ هـ ١٣٧٧ م) [١] :
« وقصدنا منها (من طبريّة) زيارة الجبّ الذي القى فيه يوسف ، وهو في صحن مسجد صغير وعليه زاوية ، والجب كبير عميق ، شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر . وأخبرنا قيّمه أن الماء ينبع منه أيضاً »

وقال الفيروز آبادي (المتوفّى سنة ٨١٧ هـ ١٤١٤ م) [٢] :
وجبّ يوسف على اثنى عشر ميلاً من طبرية أو بين سنجل ونابلس

وقال غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (المتوفّى سنة ٨٧٢ هـ ١٤٦٧ م) [٣] عند ذكره مراكز البريد : وأما ما كان من دمشق الى صفد فمنها الى البريج ثم الى الفلوس ثم الى الأرينبة ثم الى نعران ثم الى جبّ يوسف ثم الى صفد [٤]

وقال محمد بن أحمد المنهاجي السيوطي (المتوفّى سنة ٨٨٠ هـ

---

(١) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار ص ٣٦ طبع مصر

(٢) القاموس المحيط والقابوس الوسيط طبع الميمنية ج ١ ص ٤٥

(٣) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٢٠ (٤) وفي التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري ص ١٩٤ الى بريج الفلوس الى ارينبا الى لعران الى صفد

١٤٧٥ م) [١] : قال الواحدي في قوله تعالى « وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ » اختلفوا في هذا الجب فقال قتادة : في بيت المقدس . وقال وهب : بأرض الأردن . وقال مقاتل : هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب

ونقل القاضي مجير الدين العليمي الحنبلي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ١٥٢١ م) [٢] عبارة الواحدي التي استشهد بها المنهاجي السيوطي، وقد تقدم ذكرها

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي (المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م) بعد أن ذكر مبيته في قاطع جسر بنات يعقوب [٣] « فلم نزل سائرين في تلك الفيافي النضرة ، والاراضي الخضرة . حتى جئنا بالاشواق ،

(١) اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى من مخطوطات الخزانة الخالدية في بيت المقدس. ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذا الكتاب الذي تم تأليفه سنة ٨٧٥ هـ ١٤٧٠ م قد نسب الى عدة مؤلفين : ففي كشف الظنون وفي نسخة الخزانة التيمورية نسب الى مؤلفه المذكور محمد، وفي نسخة خزانة عارف حكمة بالمدينة المنورة نسب الى ابراهيم بن محمد الاسيوطي، وفي نسخة مراد البارودي في بيروت نسب الى عبد الرحمن بن محمد المنهاجي ، وفي نسخة الخزانة الخالدية في بيت المقدس المنقولة من نسخة الجامع الكبير بيافا نسب الى محمد بن محمد ابي شريف الشافعي فأخذنا بقول الكشف والنسخة التيمورية لرجحان كفتهما

(٢) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٦٢

(٣) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية من مخطوطات المكتبة الخالدية في القدس

الى جبّ يوسف الزائد بالاشراق . وشربنا من ماء ذلك البئر العذب الزلال ، ولله درّ لسان البلاغة في ذلك حيث قال :

أياحسن ماء الجبّ أي جبّ يوسف ... ويا طيبهُ في حلق قاصد إرواء
حلا وهو عذب بارد فكأنما ... وقد حلّ قدماً حسن يوسف في الماء

ولله درّنا حيث تسابقنا الى شرب ذلك الماء ، وأدلينا في ذلك الجب الدلاء ، لاجل التبرّك والارتواء . ونحن القائلون في ذلك الشان ، والقايلون في ذلك المكان :

وسيّارة جئنا الى جبّ يوسفٍ ... وللزّهر حسن في جوانبه يسبي
ووارد نا أدلى به الدلو يستقي ... كأنا حسبنا بعد يوسف في الجبّ

وكان المرعى هناك لمرعى خصب ، فنزلنا فيه مقدار ماتناولنا غداءنا وأخذنا من صلاة الظهر مع الجماعة بنصيب . ورعت الدواب ماتيسر لها من المرعى ، ونادى بنا لسان الحال « استنّتِ الفِصالُ حتى القرعى » . وقلنا من النظام ، في ذلك المقام :

يا سقى اللهُ جبّ يوسفَ لمّا ... قد أتيناه باشتياق وحُبّ
نحن من حسن يوسف في زهو ... رٍ من النبت في غيابة جبّ

وزرنا هناك مكاناً عليه قبة لطيفة ، يقال له (الشيخ عبد الله) وهو على حافة الطريق والهيبة به مطيفة . وفي الجانب الآخر من

الطريق بركة من الماء واسعة الأطراف ، وهناك خان عامر البناء يأمن فيه من يخاف . وعلى جبّ يوسف الذي هو البئر المذكور قبة لطيفة البناء ، وبالقرب منه مسجد لطيف للصلاة فيه نظيف الاناء » . وقال أيضاً فى رجوعه الى دمشق ومروره بخان المنية : « ثم لم نزل سائرين الى أن وصلنا الى جبّ يوسف وشربنا منه الماء الزلال ، وشهدنا منه ذلك الحسن اليوسفي والجمال . ثم نزلنا فصلّينا الظهر جماعة ، وذهبنا تلك الساعة »

وعاد فذكره فى قصيدته التى لخّص فيها رحلته وختم بها كتابه فقال فى وصف قدومه اليه :

بجبّ يوسفيّ قد نما شوق لنا قد تمّ
ومنه الماء أخرجنا لذيذاً طعمه فى الفمّ

وقال فى وصف قفوله عنه :

وبالجبّ البهي حتى أتينا الجسر لا تندم

هذا ما اطلعنا عليه من أقوال جغرافيي العرب ورحّالتهم ، وفيه من الغموض ما فيه . ولذلك اضطررنا الى الرجوع الى أقوال التوراة وعلماء الفرنجة الذين اعتمدوا فى أبحاثهم نصوص التوراة والآثار والأخبار ، فنلخّص معنا :

١ : انّ يعقوب كان يقيم في جوار شكيم [١] وهي أوّل مدينة نصب سيدنا ابراهيم الخليل (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) خيمته بقربها ، وبنى مذبحاً هو أول مذبح بني في أرض كنعان . وكان لما نزلها يعقوب اشترى قطعة أرض بمائة قسيطة من بني حمور ابي شكيم ، وحفر بئر الماء المعروفة باسم (بئر السامرية) الى اليوم [٢] وعندها كان يرعى أولادُه الغنم حيث ضلّ يوسف حين ذهب ليتفقدهم . وفيها دُفنت رُفات يوسف الصديق ابنه

٢ : ان اخوة يوسف عليه السلام أتوا الى دوثان ليرعوا الغنم وهناك طرحوه في الجبّ ثم باعوه لاحدى القوافل المارّة من بلاد العرب الى مصر . وهذا نص ما ورد في العهد القديم من الكتاب المقدّس «التوراة» عن ذلك نقلاً عن طبعة جمعية التوراة البريطانية والاجنبية في سفر التكوين في الاصحاح ٣٧ بعد أن ذكر قدوم يوسف الى شكيم وسؤاله من رجل هناك عنهم وقوله له سمعتهم يقولون لنذهب الى دوثان : « فذهب يوسف وراء اخوته فوجدهم في

(١) شكيم هي مدينة نابلس المعروفة واسمها عند الرومانيين فيلافيا نيابوليس اى فيلافيا المدينة الجديدة وعدد سكانها اليوم ١٥٩٤٧ نسمة

(٢) بئر السامرية هي في ضاحية نابلس على يسار الطريق السالك الى القدس وسميت بالسامرية لان سيدنا عيسى عليه السلام كان تلاقى بامراة سامرية وهي تستقي منها واتاها بحالها

دوثان . فلما أبصروه من بعيد قبل ما اقترب اليهم احتالوا له ليميتوه . فقال بعضهم لبعض هو ذا هذا صاحب الأحلام قادم . فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحشٌ ردي أكلهُ فنرى ماذا تكون أحلامه . فسمع راؤبين وأنقذه من أيديهم . وقال لا نقتله . وقال لهم راؤبين : لا تسفكوا دماً ، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا اليه يداً ، لكي ينقذه من أيديهم ليردّه الى أبيه . فكان لمّا جاء يوسف الى اخوته أنّهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملوّن الذي عليه وأخذوه وطرحوه في البئر . وأمّا البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء . ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً . فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة اسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانًا ولاذنًا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر . فقال يهوذا لاخوته : ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه . تعالوا فنبيعه للاسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لانه أخونا ولحمنا . فسمع له اخوته . واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضّة . فأتوا بيوسف الى مصر . ورجع راؤبين الى البئر واذا يوسف ليس في البئر فمزّق ثيابه . ثم رجع الى اخوته وقال : الولد ليس موجوداً وأنا الى أين أذهب . فأخذوا

قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص في الدم وأرسلوا القميص الملوّن وأحضروه الى أبيهم . وقالوا وجدنا هذا ، حقّق أقميص ابنك هو أم لا ؟ فتحققه وقال قميص ابنى . وحش رديء أكله . افترس يوسف افتراسا . فمزّق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة . الخ

أما ماورد في القرآن العظيم في سورة يوسف عليه السلام عن ذلك فهو :

« لَقَدْ كانَ في يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ . إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّ أَبانا لَفي ضَلالٍ مُبِينٍ . اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ . قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ في غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ . قالُوا يا أَبانا مالَكَ لا تَأْمَنا عَلى يُوسُفَ وَإِنا لَهُ لَناصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنا لَهُ لَحافِظُونَ . قالَ إِني لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ . قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنا إِذاً لَخاسِرُونَ . فَلَما ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ في

غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ . وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ . وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ »

ودوثان التي ذكرت التوراة أن اخوة يوسف طرحوه في بئر من آبارها من المدن الحصينة وكان يقيم فيها اليشع حين حاولت جيوش ارام أن تقبض عليه ، فنجّاه الله منها بأعجوبة جاء ذكرها في سفر الملوك الثاني (إصحاح ٦ : ١٣ ـ ٢٣) . ودوثان هذه خربة معروفة الى اليوم باسمها ، تبعد ستة أميال الى الجنوب الغربي من جينين المذكورة في التوراة باسم عين جنيم في طريقها الى نابلس التي تقدم أن اسمها شكيم بجوار قرية تدعى عرّابة تقع على نحو ١٢ ميلا شمالي قرية سبسطية (وهي المعروفة بالسامرة قبلا) ، وفي

هـذه الاخيرة قبور زكريا ويحيى بن زكريا عليهما السلام وجماعة من الانبياء والصديقين على ما ذكره ياقوت في معجمه ، والمشهور الأولان وهما في جامع القرية ينزل اليهما بادراج وطيّة

وقد زرتُ دوثان غير مرة وكان بجوارها عند حضيض الاكمة من الجنوب حديقة غناء تسمى الحفيرة ملك المرحوم حافظ باشا المحمد عبـد الهادي الذي كان مضرب المثل بجوده وكرمه وهو من الأسرة المعروفة في بلاد نابلس ، وبحثت في جوانبها واعتليت تلّ دوثان وشربت من ماء النبع الذي بجانبه الطريق القديم ، ورأيت هناك أجباباً ربما كان أحدها الجبّ الذي طُرح يوسف فيه . وقد حاول بعض البعثات الاثرية الأجنبية الحفر في دوثان والتنقيب عن آثاره فلم يفلح ، لان أصحاب الأرض طلبوا تعويضاً باهظاً عن تعطيل زراعتهم في التلّ المذكور ففلّ ذلك أيدي الراغبين بالعمل عن مواصلة السعي لدى الحكومة العثمانية ، وبقيت تلك الكنوز التاريخية مدفونة الى يوم الناس هذا

٣ : يقول أرنو في كتابه (فلسطين القديمة والحديثة ـ أو جغرافية طبيعية وتاريخية للارض المقدسة) [1] : ان احدى الطرق الكبرى من الشام لمصر كانت تجتاز الاردن تحت بحيرة طبرية ،

(1) La Palestine Ancienne et Moderne ou Géographie Historique et Physique de la Terre Sainte (E.Arnaud page 220)

فتذهب الى بيسان فجينين فدوثان فالسامرة فجلجولية فيافا ، وقد لاتأتي يافا فتذهب مباشرة الى غزة من طريق اللدّ الى ان تصل مصر ، وان هذه الطريق كانت تسلكها قوافل العرب التي تحمل طيوب المشرق ، وهذا مما يمهّد لنا السبيل في ان اخوة يوسف قد باعوه بثمن بخس دراهم معدودة من احدى السيارات التي كانت تجتاز تلك الطريق بجوار دوثان ، كما أشارت الى ذلك التوراة بصريح العبارة ، ولا يزال السياح الذين يؤمون الأرض المقدسة يقصدون الى زيارة دوثان وجبابها

٤ : ان سيلون التي زعم الهروي ومن تلاه أنها كانت مسكن يعقوب هي شيلوه العبرية ، وهى من المدن التي كانت مهداً لحادثات جسام فى التاريخ الاسرائيلي . وهذه القرية هى اليوم خربة تقع على نحو تسعة أميال شمالي بيت ايل وثلاثة أميال جنوبي اللبن وميلين شرقي الطريق بين نابلس وبيت المقدس ، ولا يزال فيها من الآثار الاسرائيليّة صورة كوز المنّ بين زهرتين منقوشة على عتبة الجامع ، وفيها قبور منحوتة في الصخر كانت مدافن بعض عظماء بنى اسرائيل . وهناك وضع تابوت العهد و نصبت خيمة الشهادة وقسمت الأرض بين الأسباط وقد اجرى فيها في السنة الفائتة البحث والتنقيب عن تلك الآثار اليهوديّة فالظاهر أن علماء

العرب الذين علموا من أمر شيلوه ما علموا اعتبروها منزل يعقوب ، وقد مر بك ماقاله الهروي وياقوت الحموي وغيرهما ، وزاد ياقوت في معجمه على الهروي فقال [١] : « سيلون قرية من قرى نابلس بها مسجد السكينة وحجر المائدة والأكثرون على أن المائدة نزلت بكنيسة صهيون »

﴿جب يوسف عليه السلام﴾

وعلى ذكر سيلون نرى من الواجب العلمي أن نصحح ذهاب

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٢٢٠

صديقنا العلاّمة الجليل الاستاذ احمد زكي باشا ناشر كتاب مسالك الابصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري ، فقد قال في التصحيحات التي ذيّل بها الجزء الاول من الكتاب [1] : انها تعرف الانَ عند أهل فلسطين باسم « سيلة الظهر » في حين أنّ هذه الاخيرة قرية بين نابلس وجينين لم يذكرها ياقوت ولا غيره من جغرافيي العرب ولاهي من الأماكن التاريخية المعروفة .وسيلون بالرغم من أنها أصبحت خراباً بلقعاً لا تزال تعرف باسمها ، وهي بالقرب من سنجل ويوصل اليها من جانب قرية تدعى ترمسعيّا لعلها ترماسيا المذكورة في التلمود القدمي مرة واحدة وقد ظهر فيها في أيام الدولة العثمانية آثار يهودية ورومانية

لذلك نرى أن استمساك الكثيرين منا في الظن بان جبّ يوسف هو الذي بين طبرية وصفد هو بسبب ماروي قبلاً عنه أنه بين طبرية وبانياس ثم جاءت الحروب الصليبية فرأى بطلها الأول السلطان صلاح الدين يوسف أو بطلها الثاني الملك الظاهر بيبرس أو كلاهما أن يستثمرا وجوده على الجادّة السابلة من الشام الى مصر فأقيم عليه البناء مثل مسجد وزاوية وبركة ماء وصارت القوافل تغشاه كما ذكر لنا ذلك ابن بطوطة وعبد الغني النابلسي فيما تقدم من كلامهما . ولا يزال الجبّ الى اليوم على طرف الطريق المعبّد

(١) مسالك الابصار في ممالك الأمصار (تصويبات وتصحيحات) ص ٦

بانحرافٍ قليلٍ، وعليه قبّة ذات أربع قناطر كتب على أحد جوانبها « هذا جبّ يوسف » وهي من بناء العثمانيين المتأخرين وقد تكون بنيت على مثالٍ سابقٍ لها

وقد بحثتُ عن قصر يعقوب وبيت الأحزان اللذين ذكرهما الهروي في الطريق الى بانياس فلم أجد لهما ذكراً قبل الحروب الصليبية، بل انّ مخاضة الاحزان ذكرها العماد الاصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ١٢٠٠م عند ذكره فتوح صفد [١] وبيت يعقوب أورده علي بن محمد الساعاتي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م في بيتين من الشعر قالهما في مدح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما افتتح الحصن الذي كان بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان بالقرب من بيت يعقوب وهما [٢] :

أتسكن أوطانَ النبيّين عصبةٌ تمينُ لدى أيمانها وهي تحلف
نصحتكمُ والنصح للدين واجب ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وكذلك جسر يعقوب - ويقال له اليوم جسر بنات يعقوب - وهو الحدّ الفاصل بين سورية الشمالية وسورية الجنوبية «فلسطين» اللتين جزأتهما السياسة الاستعمارية الى دول وممالك، فانه لم يذكر

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ١٣٣ وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١٣٥

(٢) المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ج ٣ ص ٦١

الاّ في زمن الملك الظاهر بيبرس عند ما كان يحاصر قلعة صفد ، فقد جاء في تاريخ الدول والملوك لابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م انه أتى بالمجانيق التي عملت بدمشق على رقاب الرجال من جسر يعقوب الى صفد لعجز الجمال عن حملها [١]

وكذلك غار يعقوب الموجود بمدينة صفد والذي حُبست عليه الاوقاف الطائلة في زمن دولة المماليك لم أقف على خبر يدلّ على وجوده فيها قبل سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٥ م) حيث ذكر محمد بن ابراهيم ابن أبي بكر المعروف بابن الجزري المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م) في تاريخه [٢] ان محمداً بن محمود القباقيبي كاتب الانشاء بصفد (المتوفى فيها سنة ٦٩٥ هـ ـ ١٢٩٥ م) قد دُفن بمغارة يعقوب في تابوت ، ثم نقل بعد سنة الى دمشق

على انّ على باب المكان الذي يسمونه الآن « غار يعقوب » كتابة تاريخية تدلّ على أن اسمه « ضريح البشير » الذي جاء بقميص يوسف الصديق الى أبيه يعقوب ، وهذه الكتابة التاريخية ترجع الى سنة ٨١٥ هـ ١٤١٦ م وتقول ان ذلك « المزار المبارك » قد بُني على ضريح سيدى بشير الذي جاء بقميص يوسف الى أبيه يعقوب عليهما السلام

(١) تاريخ الدول والملوك من المصورات الشمسية في الخزانة التيمورية في القاهرة نقلا عن النسخة الوحيدة وهي بخزانة فينا

(٢) تاريخ ابن الجزري من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة

ولمغارة يعقوب أوقاف في نواحي صفد منها قرية تدعى (قطانا) وغيرها لاتزال ادارة الاوقاف تستغلها وتستثمرها ، وقد اطلعتُ على كتاب وقفٍ لها من القرن التاسع الهجري حينما كانت صفد عاصمة المملكة الشريفة الصفدية احدى الممالك السبع التابعة لسلطنة المماليك المصرية

وأنت ترى ان الذين بنوها لم يدّعوا بأنها مغارة يعقوب بل قالوا انها مزار للبشير الذى جاء بالقميص

فاستنتجتُ من هذا وذاك ان دعوى وجود جب يوسف بين طبرية وصفد وقصر يعقوب وجسر يعقوب وبيت الاحزان ومخاضة الاحزان في تلك النواحي ومغارة يعقوب في صفد قد تداولتها الالسن بعد الحروب الصليبية واستثمرها رجال الحرب والسياسة للمصلحة الوطنية بعد أن ألبسوها ثوباً من الدين

واذا جاز أن يكون ليعقوب بيت فيجب أن يكون هذا البيت في نابلس أو ما اليها ، وانك لتجد مسجداً في نابلس يسمى الخضراء وفيه مغارة يقال لها بيت حزن يعقوب وكذلك فيها مسجد الانبياء ويسمى أيضاً مسجد أولاد يعقوب ، ونابلس على كل حال موطن يعقوب وأقرب المدن الى جب يوسف الذي قررنا انه في دوثان بالاستناد الى نص التوراة والى تحقيق المحققين . وما كان لنا أن

ندّعي ان جبّ يوسف بين طبرية وصفد حيث لم يقم الدليل التاريخي على أن تلك الجهة كانت مسكن يعقوب أو أن نصرّ على أنه بين نابلس وبيت المقدس في قرية سنجل - التي لا تزال تعرف بهذا الاسم والتي يقول عنها الفرنجة انها نسبت الى الكونت ريموند دى سان جيل [1] من أبطال الصليبيين - وذلك لقربها من سيلون التي زعم بعضهم انها كانت مسكن يعقوب . ما كان لنا أن ندعي تلك الدعوى الباطلة التي لا تستند الى دليل تاريخيّ أو برهانٍ علميّ ولا أن نقول ان مايدعيه اليهود والنصارى في جب يوسف وهم اتباع التوراة غير صحيح ، فأن أهل مكة أدرى بشعابها

ولاستتمام هذا البحث من جميع نواحيه نقول انه لا يوجد في سنجل أو في دوثان بناء أو أية اشارة تشير الى وجود جب يوسف هناك - وان كان الناس يسمون البئرين بجب يوسف - مما يؤيد رأينا في أن الحروب الصليبية ورغبة السلاطين والقواد في ترغيب المسلمين وتحريضهم على الدفاع عن تلك الاماكن

(١) تكاد تكون هذه التسمية صحيحة ، فقد مر بنا ان الهروي وابن فضل الله العمري قد ذكراها باسم سنجيل وقد انفرد ياقوت بتسميتها بسنجل الا انه عند ما أتى على ذكرها في عرض كلامه على سيلون قال عنها أيضا سنجيل وبسميها الفرنجة Cazale Saint Gilese

المقدسة هو الذي جعل الرأي السائد في أن جب يوسف هو الذي بين طبرية وصفد

وعلى ذكر مسجد الخضراء الذي فيه بيت حزن يعقوب ومسجد الانبياء أو أبناء يعقوب الموجودين في نابلس ننقل ماقاله عنهما عبد الغنى النابلسي في رحلته القدسية ، فقد قال عن الأول الذي زاره في قفوله من بيت المقدس : [1] « ثم توجّهنا الى مسجد الخضرا، وهنالك الروضة النضرا. وكانت النسمات عطرة الهبوب ، والأزاهير متنوعة الضروب ، فدخلنا الى جامع قديم البنيان ، متهدّم الجوانب والاركان ، فيه بركة من الماء كبيرة ذات الطول والعرض ، مربّعة الجوانب مساوية للأرض . والماء يجري فيها ، من أفواه سواقيها . وحولها الاشجار والبساتين ، والأزهار والرياحين . وقبليّ البركة مسجدٌ للصلوات ، فيه محراب وسقفه معقود بالقبو من الاحجار المنحوتات . في داخله مغارة يقال ان ولادة أولاد يعقوب كانت فيها ، وانّ ذلك المسجد كلّه كان بيتاً له وتلك نقولٌ لم تزل العامّة ترويها . فصلّينا في ذلك المسجد صلاة الظهر وصلاة العصر ، وحصل الفرج وزال الضيق والحصر . وحصل لنا كمال السرور ، وتمّ الشهود والحضور ، ونظمنا هذه الأبيات التى هى كالعقود في النحور :

(١) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية

بنابلسٍ جئنا الى مسجد الخضرا
وزرنا مروج الزهر والروضة الخضرا
وبركتها [العظمى] التي قد تدفقت
بسائل ماء جاءها تظهر النهرا
اذا قام من تلك النسائم منشدٌ
رأيتُ بها الأشجار قد عقدت ذكرا
وان غرّد الشحرور نسمع للصبا
خلال الربى طبلاً وطوراً له زمرا
وترقص بالأكمام أغصانها التي
رأينا لطيّ الزهر من أرجها نشرا
تبارك من أبدى على شجرانها
نوافج زهر الحمض تستودع العطرا
وجلّ الذي أهدى من الورد أكؤساً
لها كفُّ غيدٍ بالندى مُلئت خمرا
أقمنا بها فرض الصلاة جماعة
ونلنا بحمد الله من ربنا أجرا
وما راعنا الا انهدام جوانب
لها مثل ذات الخدر قد كشفت خدرا

بها كان قدماً دار يعقوب والذي

يصدقه النور الذي قد حوت جهرا

وأولاده كانت ولادتهم بها

وشاهدهُ حسنٌ ليوسفَ قد أطرىٰ

ولـكنها الأيام تخلق جدة

فلست ترى زيدا يدوم ولا عَمْرا

وقال عن الثاني الذي زاره وهو في ذهابه الى بيت المقدس :

فذهبنا مع جماعة من الاخوان ، الى زيارة أولاد يعقوب في داخل المدينة فيما بين الجدران . فدخلنا الى مسجدٍ لطيف في داخله صورة قبرٍ عالٍ منيف . وتحته مغارة يقال ان فيها دفن أولاد يعقوب ووجدنا على ظهر الغار مكتوباً في الحائط ماصورته :

أولاد سيدنا يعقوب عليهم الصلاة والسلام

ربين ، لاوي ، بنيامين ، دوني ، سيسوقر ، نفتولى ، يهودي

وفيه اسمان آخران لم نعرفهما الأول والاخير ، فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى في ذلك المكان المهاب الخطير

وأورد بعد ذلك أسماء أبناء يعقوب على ماروا ه مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل في تاريخه والقاضي البيضاوي في تفسيره وجلال الدين السيوطي وشيخي زاده في حاشيتيهما على

البيضاوي وختم ذلك بقوله :

« ومعلوم ان هذه الاسماء في اللغة العبرانيَّة فاذا نطق بها أهل اللغة العربية صحفوها وحرفوها وكان ذلك منهم تقريباً لها ، ولهذا قال بعضهم : الكلمة الاعجمية انطق بها كيف شئت »

قلنا وقد عرب علماء النصارى أسماء أبناء يعقوب الاثنى عشر الذين جاء ذكرهم في التوراة على الوجه الآتي :

رَاوُبَيْن ، شِمْعُون ، لاوِي ، يَهُوذَا ، زَبُولُن ، يَسَّاكَر ، دَان ، جاد ، أَشِير ، نَفْتالى ، يُوسُف ، بَنْيامِين

وأنت ترى أن النابلسي ومن تقدمه من علماء المسلمين قد أوردوا اكثر اسمائهم مصحفة محرّفة كما اعترف به واعتذر عنه

وقد قُسمت الأرض في زمن يشوع بن نون على اثنى عشر سبطاً هى أنسال أبناء يعقوب العشرة باستثناء يوسف ولاوي

أما يوسف فقد أعطى نصيبه مضاعفاً الى أنسال ابنيه أفْرَايِم ومَنَسَّى وهما تتمة الاثنى عشر سبطا ، وأما لاوي فلم يختص نسله بشيء من الارض بل كان نصيبهم بعض المدن للسكنى والمسارح لرعي الماشية ، لانهم كانوا يَلُون الكهنوت فكانت هذه الرآسة الدينية مانعة للمنفعة الدنيوية وقدقنعوا بهذا الربح المعنوي واستغنوا به عن الربح المادي

قبر يوسف عليه السلام

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفّى سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) في مقالته الحنين الى الأوطان [١] ، « ومن أصدق الشواهد في حب الوطن أنّ يوسف عليه السلام لمّا أدركته الوفاة أوصى أن تُحمل رِمّته الى موضع مقابر أبيه وجدّه يعقوب واسحاق وابراهيم عليهم السلام . ورُوِيَ لنا أنّ أهل مصر منعوا أولياء يوسف من حمله ، فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم أمره أن يحمل رمّته الى تربة يعقوب بالشام ، وقبرُه معلوم بأرض بيت المقدس بقرية تسمى حسامى [٢] وكذلك يعقوب مات بمصر فحملت رمته الى ايلياء ـ قرية ببيت المقدس ـ وهناك قبر اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام » [٣]

وجاء في كتاب فتوح مصر وأخبارها لعبد الرحمن بن عبدالله

(١) ص ٣٥ وقد نشرها صاحبا المكتبه السلفية بالقاهرة سنة ١٣٣٣

(٢) كذا في الاصل ولعلها محرفة عن شكيم اذ لم يكن قد عرف قبر يوسف انه في حبرون كما سيرد تفصيله

(٣) ايلياء هي مدينة بيت المقدس نفسها وليس فيها قبرا يعقوب واسحاق وانما هما في حبرون المشهورة اليوم بمدينة خليل الرحمن وهو ابراهيم عليه السلام وقبره فيها

ابن عبد الحكم المتوفّى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) :

« حدّثنا عثمان بن صالح قال أخبرني ابن لهيعة عمّن حدّثه قال : قُبر يوسف عليه السلام بمصر ، وأقام بها نحواً من ثلاثمائة سنة ثم حُمل الى بيت المقدس » (١)

وقال المقدسي في باب ذكر المواضع المختلف فيها (٢) : « سمعت أبا علي الحسن بن أبي بكر البناء (٣) يقول : كان قبر يوسف دكّة يقال انها قبر بعض الاسباط حتى جاء رجل من خراسان وذكر أنه رأى في المنام : اذهب الى بيت المقدس وأعلمهم أن ذاك يوسف الصديق . قال : فأمر السلطان والدي بالخروج وخرجت معه . قال : فلم يزل الفعلة يحفرون حتى انتهوا الى خشب العجلة واذا بها قد نُخرت ولم أزل أرى عند عجائزنا من تلك النحاتة يستشفين بها من الرمد »

وقال الحافظ ابن عساكر (٤) : « قال أبو حذيفة أخبرني

(١) فتوح مصر واخبارها طبع المعهد العلمي الافرنسي بمصر ج ١ ص ٢٠

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ٤٦

(٣) ذكر المقدسي هذا الرجل غير مرة وهو عمه

(٤) هذه العبارة نقلناها من كتاب منير الغرام وخلاصة الكلام في فضل زيارة سيدنا خليل الرحمن الذي سيأتي ذكره . ولا ندري أي ابن عساكر يعني فان المعروفين بهذه النسبة كثيرون أشهرهم علي بن الحسن بن هبة الله المتوفى

عمار بن الساجي ومقاتل بن سليمان قالا : في المسجد الحرام بين زمزم والركن قبر سبعين نبياً منهم هود وصالح واسماعيل . وقبر ابراهيم وآدم واسحاق ويعقوب ويوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في بيت المقدس »

وقال الهروي في رحلته[1] : ﴿ بُلاطة ﴾ قرية من أعمال نابلس بها عين الخضر وبها حقل يوسف الصديق ، وقبر يوسف بهذا الموضع عند الشجرة وهو الأصح * ثم يقول بعد ذلك : وفي الخليل قبر يوسف الصديق عليه السلام خارج المغارة ، والصحيح ما ذكرناه ، والله أعلم

وقال ياقوت الحموي[2] : ﴿ بُلاَطَةُ ﴾ بالضمّ قرية من أعمال نابلس من أرض فلسطين بها عين الخضر ، وبها دُفن يوسف الصديق وقبره بها مشهور عند الشجرة

سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤م) صاحب تاريخ دمشق الكبير وابنه القاسم المتوفى سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) مؤلف كتاب الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى وكلاهما من الحفاظ . ونسخة التاريخ الذي طبعت منه خمسة أجزاء ملخصة توجد تامة في دار الكتب الظاهرية بدمشق . ونسخة الجامع المستقصى ـ من الجزء ١٢ الى الجزء ١٥ ـ في الخزانة التيمورية وقد اختصر ابن عساكر الابن تاريخ والده في أصغر واكبر ولا نعلم أين هما

(١) الاشارات الى أماكن الزيارات مخطوط

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٧١٠

والظاهر من قول ياقوت أنه نقل عن الهروي ككثير مما كتبه عن البلدان

ونقل ابن الزيات المتوفى سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) ما ذكره شرف الدين ابن الجبّاس في تاريخه عن المشهد المعروف باليسع وروبيل بقوله [١] : « أجمع العلماء من أهل التاريخ على أنه لم يُدفن بمصر الاّ يوسف عليه السلام ، وظلّ الى زمن موسى بن عمران عليه السلام فأمره الله تعالى أن يحمله معه الى بيت المقدس فحمله لأن القبلة كانت زمن يعقوب الى جهة بيت المقدس »

وزاد على ذلك بقوله [٢] : « انّ رجلا بات في هذا المكان قديماً فقرأ سورة يوسف عليه السلام ونام فرأى قائلا يقول : هذه والله قصتنا ، من أعلمك بها ؟ فقال : القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ ، فمن أنت ؟ قال : روبيل أخو يوسف عليه السلام . فلما أصبح أحضر الناس فبنوا هذا المشهد لما علموا من صدق هذه الرؤيا ، والمكان مبارك يزار بحسن النيّة » قلنا : وهذه الرؤيا تشبه رؤيا الخراساني التي ذكرها المقدسي وتقدّم الكلام عنها

(١) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ص ٢٨٢
(٢) منه ، ص ٢٨٣

وقد أفرد اسحاق بن ابراهيم بن لمعة بن محمد بن كامل الترمذي الشافعي ـ الخطيب بمسجد سيدنا الخليل ـ المتوفّى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م) فصلا في قبر يوسف الصديق وحمل تابوته من مصر ودفنه بقبر آبائه وهو الفصل الثامن عشر من كتابه [١] وخلاصته : ان بني اسرائيل لما خرجوا من مصر حملوا تابوت يوسف ـ وهو صندوق من الرخام ـ على عجلٍ من حديدٍ وأتوا به بيت المقدس ، وان قبره في البقيع خلف الحير [٢] حذاء قبر يعقوب وجوار أجداده ابراهيم واسحاق

وقال : ان جارية المقتدر العباسي المتوفّى سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) المعروفة بالعجوز كانت مقيمة ببيت المقدس ، فسألت ابراهيم بن أحمد الخلنجي أن يدلّها على الموضع الذي رُويَ أن قبر يوسف فيه لاظهاره والبناء عليه . قال : فخرجتُ والعمال معي لكشف الموضع في البقيع الذي رُويَ أنه دُفن فيه خارج الحير حذاء قبر أبيه . قال : فاشترى البقيع من صاحبه وأخذ في كشفه فخرج في الموضع

(١) منير الغرام وخلاصة الكلام في فضل زيارة سيدنا خليل الرحمن من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة وقد تفضل صاحبها ووافقها العلامة الجليل صديقي أحمد تيمور باشا باهدائي صورة شمسية منقولة عن نسخته ، فحق علي أن أشكره لما يبديه من المساعدة نحو العلم والعلماء

(٢) في القاموس : الحير شبه الحظيرة والحمى

الذي رُوِيَ أنه فيه حجرٌ عظيم فأمر بكسره فلما كسر ظهر تحته جثمان يوسف على صحةٍ من رؤيته فأطبق العمال الحجر على ما كان ثم بنى عليه القبة التي هي عليه الآن [قال : وكان الذي رأى الرؤيا رجلا صالحاً ، وكان امام مسجد ابراهيم . قال : كنتُ أضع رأسي على الدرجة السفلى من المنبر وأنا نائم فيأتيني هاتف فيقول : أظهر قبر يوسف . فأراني البقيع والمكان ثلاث مرّات . فعند ذلك دخلت الى بيت المقدس فعرّفت العجوز جارية المقتدر بالله وكتبت الى مولاها [1] فجاء الأمر بالكشف عن الموضع والبناء عليه فاتفق ما ذُكر]

ويظهر من التوفيق بين الرواية التي أوردها المقدسي المتوفى بعد سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) نقلا عن عمه الحسن بن أبي بكر البناء الذي كان حيًّا في القرن الرابع الهجري (القرن العاشر المسيحي) وبين رواية الترمذي التي أسندها الى ابراهيم بن احمد الخلنجي في ذلك القرن أنّ قبر يوسف عليه السلام لم يُعرف ولم يُشهر الاّ بعد تلك الرؤيا التي رآها ذلك الرجل الخراساني أو امام مسجد ابراهيم .وقد يكون ذلك الامام خراسانياً ، وقد يكون الحسن البناء

(١) في الاصل « مواليها » وهو من خطأ النسخ

وابراهيم الخلنجي قد اشتركا في عملية الكشف على القبر الذي قالوا انه كان في البقيع خارج حير مسجد ابراهيم ومن غريب الاتفاقات أن قبر يوسف فى حبرون ومشهد روبيل فى القاهرة قد ظهرا بواسطة الرؤى

وقال مجير الدين الحنبلي[1] : « ومات يعقوب بمصر وأوصى ابنه يوسف أن يدفنه عند أبيه اسحاق فسار به الى حبرون ودفنه عند أبيه وقبره بحذاء قبر جده الخليل عليهم السلام من جهة الشمال ، وعاد الى مصر وتوفي ودفن بها . فلما سار موسى ببني اسرائيل من مصر الى التيه نبش على يوسف وحمله معه فى التيه حتى مات موسى فلما قدم يوشع بن نون ببني اسرائيل الى الشام دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند الخليل ، وهو المشهور عند الناس ، فان قبره عند الخليل ظاهر مشهور وقد استفاض عند الناس فلم ينكر . وبعد أن ذكر الشطر الأول من حادثة الكشف على قبر يوسف التي ذكرها الترمذي وتجاوز عن خاتمها المتعلقة بالرؤيا والهاتف - وهي التي وضعناها فى محلها بين قوسين - عاد فقال[2] : « وهو خارج السور السليماني من جهة الغرب بداخل مدرسة منسوبة للسلطان

(١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل (ج ١ ص ٦٤)
(٢) الانس الجليل (١ : ٦٥)

الملك الناصر حسن [١] وتسمى الآن بالقلعة ويدخل اليه من عند باب المسجد الذي عند السوق تجاه عين الطواشي وهو موضع مأنوس وفيه الضريح . ثم ان بعض النظّار على وقف سيّدنا الخليل عليه الصلاة والسلام - وهو شهاب الدين أحمد اليغموري - فتح باباً في السور السليماني من جهة الغرب بحذاء القبر المنسوب لسيدنا يوسف الصديق عليه السلام ، وجعل فوق المنبر السفلي اشارة تدلّ عليه كبقيّة الأضرحة الكائنة بمسجد سيّدنا الخليل عليه السلام ، وذلك في سلطنة السلطان الملك الظاهر برقوق [٢]

وقال عبد الغني بن اسماعيل النابلسي في رحلته [٣] « ثم خرجنا الى صحن ذلك الجامع وذهبنا الى الرواق الغربي وقد فتح لنا الباب ، فدخلنا الى مزار يوسف الصدّيق ابن يعقوب عليهما الصلاة والسلام وتبركنا بذلك الجناب . ووقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى المنجي من الهلاك ، والمخلص من

(١) الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون وهو التاسع عشر من ملوك الترك بمصر ، ولي السلطنة مرتين خلع من الاولى وقتل في الثانية سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م)

(٢) هو أبو سعيد برقوق بن أنص بن عبد الله الشركسيّ الأصل وهو أول سلاطين دولة الشراكسة بمصر ، ولي السلطنة مرتين خلع من الاولى وأعيد اليها ثانية وتوفي فيها سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٩ م)

(٣) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية من مخطوطات دار الكتب الخالدية ببيت المقدس

كلّ اشتباك »

ثم ذكر زيارته لقبره الشريف بقوله : « ثم خرجنا فذهبنا الى زيارة يوسف النبي عليه السلام في مزاره الأصلي تحت ذلك المزار المذكور على شكل قبر الشيخ العارف بالله تعالى محيي الدين ابن العربي [1] قدّس الله سرّه في دمشق الشام بلادنا المعروفة ، فانّ له ضريحين ضريحٌ ينزل اليه بدرج من صحن الجامع الكائن بصالحيّة دمشق الشام والثاني يدخل اليه من داخل الجامع المذكور وكلٌّ منهما عليه الهيبة والاحتشام ، حتى لقد صنّفنا رسالة في حكمة ذلك هديّة أتحفنا بها كلّ سالك ، وقد سمّيناها (السرّ المختبي في ضريح ابن العربي) ووجدنا ضريح يوسف عليه السلام في بلاد الخليل على أسلوب ذلك في تثنية المقام ، ولهذا سرٌّ نفيسٌ تقصر عنه أفهام العوام » . ونقل بعد ذلك عبارة الترمذيّ التي نقلها مجير الدين الحنبلي عن الكشف على قبر يوسف عليه السلام

﴿ خلاصة ما تقدّم ﴾

يتلخّص ممّا تقدّم معنا أنّ مؤرخي المسلمين ورحّالتهم

(١) محيي الدين بن العربي هو محمد بن علي الطائي الحاتمي الاندلسي صاحب التصانيف المشهورة في التصوف ، توفي بدمشق سنة ٦٣٨ هـ ١٢٤٠ م ودُفن في صالحيتها وبين صلحائها وعلمائها في جبل قاسيون

يكادون يتفقون على أنّ ضريح سيدنا يوسف هو الذي في قرية بُلاطة بضاحية مدينة نابلس بالرغم من الرواية المبنيّة على الرؤيا القائلة بظهور جثمانه في المكان المسمى بدكة الأسباط وهو خارج عن حير مسجد ابراهيم عليه السلام الذي يتضمن رفاته ورفات إسحاق ويعقوب عليهم السلام وأزواجهم

ولو كانت رفات سيدنا يوسف نُقلت حقيقةً الى حبرون لوجب أن تُدفن ضمن المسجد بجوار أجداده وأبيه وتسمي التوراة هذا المسجد بمغارة حقل المكفيلة وهذا يرجح لنا أنه قد نقل الى شكيم التي هي اليوم نابلس ودُفن فيها

﴿ أقوال التوراة ﴾

على أنّ ذلك قد جاء في التوراة صريحاً في سفر يشوع في آخر الأصحاح الرابع والعشرين : « وعظام يوسف التي أصعدها بنو اسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حمور ابي شكيم بمئة قسيطة فصارت لبني يوسف ملكاً »

وممّا له علاقة بموضوعنا هذا ما جاء في الاصحاح المذكور من أن يشوع بن نون قطع عهداً للشعب وجعل لهم فريضة وحكماً في

شكيم وكتب هـذا الـكلام في سفر شريعة الله وأخذ حجراً كبيراً ونصبه هناك تحت البلّوطة التي عند مقدس الرب

﴿ بُلاطة وبلوطة ﴾

وأظنّ أنّ بُلاطَة القرية محرّفة عن البلوطة الشجرة . على أنّ القرية اليوم تُلفظ بفتح الباء لا بضمها. وبلاطة في ضاحية نابلس على يمين القادم من بيت المقدس اليها وبالقرب منها بئر يعقوب التي قلنا فيما سبق ان اسمها اليوم بئر السامريّة . وقد بنى الروم الارثوذكس عليها كنيسة فخمة شاهدتها ولمّا تتم . وشاهدت آثاراً قديمة ظهرت عندها وفي جملتها البئر المذكورة

وبجوار بُلاطة قرية تعرف اليوم بعسكر بينهما سهل فسيح أو مرج واسع يكون جميل المنظر في أيام الربيع عنـدما يكتسي حلّة خضراء ، ولعـله عسكر الزيتون الذي ذكره ياقوت بقوله [1] : « عسكر الزيتون ، يكثر عنـده الزيتون وهو من نواحي نابلس بفلسطين »

﴿ البعثة الأثرية ﴾

على أن بعثة أثرية مختلطة تعمل من قِبل عدّة جامعات

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٦٧٥

غربية برآسة الدكتور أرنست سيلين النمسوي من ذوي التخصّص في الآثار والعاديات ، توالي البحث والتنقيب في بُلاطة منذ عامين

وقد عرفتُ الدكتور سيلين منذ سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م عند ما كان رئيسَ بعثة أثريّة اشتغلت في الحفر والتنقيب في تلّ تَعنَّك [1] من أعمال جينين وزرته في رأس عمله واطلعت على ما وُفّق اليه من الاكتشافات القيّمة والآثار القديمة التي نقلت في حينها الى متحف القسطنطينية

وقد كان هذا الدكتور شاهدَ بُلاطة إبّان اشتغاله في تعنك وحاول الحصول على اجازة بالحفر فيها فلم تسمح له الدولة العثمانية ، فظلت هذه الرغبة كامنة في صدره الى ما بعد الانتداب البريطاني فحصل من الحكومة المنتدبة على اجازة بفحص قبر سيدنا يوسف عليه السلام ، وهو يأمل أن يجد جثته محنطة ، وقد سبق معنا أنّا

(١) تعنك قرية صغيرة مأهولة على نحو ١٤ ميلا جنوبي الناصرة وخمسة أميال من اللجون الكائن بين حيفا وجينين ، وأهم آثار تلها التي نقلت الى متحف القسطنطينية رسائل مكتوبة على الآجر أرسلت من أمراء الكنعانيين الى ملك تعنك ، ولوائح بأسماء الجنود والرعاة ، وصنم من الشبه « البرونز » صغير الحجم من معبودات الكنعانيين ، ودنان من الخزف في كل واحد منها رفات طفل صغير ، وغير ذلك من الآثار الكثيرة العدد . أما الاكتشافات ذات الخطر فهي تنحصر في قصر يرتقي بناؤه الى ما قبل ٤٠٠٠ سنة وقلعتين اسرائيليتين وعرش اسرائيلي عليه صور الملائكة تحفه عن أيمانه وعن شمائله . وتعنك هذه من المدن الملكية التي جاء ذكرها في التوراة بيد أنها لم تذكر في معجم ياقوت

نقلت ضمن صندوق من الرخام من مصر عند خروج الاسرائيليين منها ، ويأمل فوق ذلك أن يعثر معها على بعض أوراق من البَرْدي تعين اسم فرعون ذلك الوقت

ولقد عثر الناقبون فيها على اطلال بناء قديم عظيم يظنّ العلماء أنّه قصر عربوم الأول الذي نادى بنفسهِ حاكماً على مملكة بني اسرائيل الشمالية . وممّا عثروا عليه هيكل كان لعبادة « عَشْتروت » وأسوار المدينة «شكيم» وآثار بوابتين عظيمتين من أكبر ما اكتشف الى الآن في فلسطين ، وبعض مداخل وأبراج وملاعب قديمة . ومن أهمّ ما وجد قصر يحوي حجرات كبيرة كان مشيداً على تسعة أعمدةٍ قائمة تحتهُ . الى غير ذلك من آثار الكنعانيين والاسرائيليين والاثوريين والرومانيين . ويتوقع من وراء هذه الاكتشافات الاثرية الخطيرة جلاء بعض النقاط المظلمة من التاريخ وتأييد ما جاء من الاخبار في التوراة والانجيل

﴿ القبر الشريف في بلاطة ﴾

ليس في بناء القبّة التي على القبر الشريف ما يدلّ على تأنّق وعناية وليست هي من القباب الفخمة الضخمة التي تستلفت الانظار لانّ الملوك والامراء كانوا يُعنون بالضريح الموجود في

مدينة حبرون « خليل الرحمن » بجوار المسجد الابراهيمي . على أن الناس يعرفون أنّ قبر سيدنا يوسف هو ذلك القبر المجاور لمباني قرية بُلاطة الحقيرة تحت قبة صغيرة كتلك القباب التي تبنى على أضرحة بعض الاولياء والصلحاء بيسير من النفقه وقليل من الاهتمام ، ويشاهدها المارّة بالسيارات بين بيت المقدس ونابلس . ويجري الحفر والتنقيب اليوم على أطلال مدينة شكيم القديمة بجوار ذلك القبر الذي يعدّ أقدم القبور عهداً فى فلسطين بل فى العالم أجمع بعد قبور ابراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام

CA! 220.93:M95jA:c.1
مخلص، عبد الله
جب يوسف الصديق وقبره الشريف
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01005600

CA
220.93
M95jA

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

CA
220.93
M95jA